برنامج أنوار كاشفة الرسالة إلى رومية الحلقة الواحدة والعشرون

مستمعي العزيز، بدأنا في اللقاء الماضي بدراسة الأصحاح التاسع من رسالة الرسول بولس إلى المؤمنين في مدينة رومية أو روما. وهي الرسالة التي تعتبر من أجزاء العهد الجديد من الكتاب المقدس.

ولقد بدأ الرسول بولس في هذا الأصحاح معالجة مشكلة الديانة اليهودية وعلاقة الله باليهود. فأكد مبدأ هاما وهو أن ليس كل يهودي من نسل إبراهيم بحسب الجسد، يعتبر من شعب الله. وبرهن الرسول بولس عن ذلك بأمثلة حية اقتبسها من العهد القديم. فإبراهيم كان له ابنان، وكذلك اسحق، ولقد اختار الله ابنا واحدا لكل منهما. فالأمر إذن يتعلق بأولاد الموعد الذين اختارهم الله. وهكذا بالنسبة لليهود فإن أولاد الموعد الذين اختارهم الله فقط هم الذين يحسبون أولادا لله. وتساءل عندها الرسول بولس هل هذا يعني أن الله ظالم؟ وأجاب بالطبع كلا، لأن الله يرحم من يشاء، ويقسّي من يشاء.

إذا كان الأمر كله يتعلق بالله ورحمته، فعلى أي أساس سيدين الله الإنسان إذا كانت المسؤولية تقع بالكلية على الله وليس على الإنسان؟ حقا إنه سؤال هام. ولقد علم الرسول بولس أن هذا السؤال سيجول في أذهان قارئي رسالته. ولهذا طرحه وأجاب عنه. وذلك ابتداء من العدد التاسع عشر من الأصحاح التاسع. كتب الرسول بولس قائلا: "**فستقول لي لماذا يلوم بعد. لأن من يقاوم مشيئته. بل من أنت أيها الإنسان الذي تجاوب الله. ألعل الجبلة تقول لجابلها لماذا صنعتني هكذا؟**" الجواب إذن أنه لا يحق للإنسان مناقشة الله خالقه أو مجاوبته. فالله هو الذي جبلنا من التراب وصنعنا. فهل يمكن للجبلة أن تناقش جابلها وتتذمر عليه. وتقول له لماذا صنعتني هكذا؟

وتابع الرسول بولس في العدد الواحد والعشرين فقال: "**أم ليس للخزاف سلطان على الطين أن يصنع من كتلة واحدة إناء للكرامة وآخر للهوان.**" يريد الرسول بولس هنا القول أن القرار في مصير البشر يعود لله وليس لنا. تماما كما أن للخزاف السلطان أن يصنع من الطين إناء يستعمل لأمر صالح، وإناء آخر لأمر فاسد. لكنَّ لله هدفا من وراء كل هذا، أليس كذلك؟ أي أنه لا يتمم مقاصده نحو البشر بشكل عشوائي، ولا يتممها هكذا بدون أي معنى أو هدف.

ولهذا نجد الرسول بولس يشرح بالروح القدس موضحا ما كتبه فقال في العددين ٢٢ و ٢٣: "**فماذا إن كان الله وهو يريد أن يُظهر غضبه ويبيّن قوته احتمل بأناة كثيرة آنية غضب مهيأة للهلاك. ولكي يبيّن غنى مجده على آنية رحمة قد سبق فأعدها للمجد.**" إن هدف الله إذن أن يُظهر غضبه ويبيّن قوة احتماله وأناته على آنية فاسدة، وأن يعلن في نفس الوقت عن عظم مجده ومحبته على

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

آنية أخرى منعما عليها بالرحمة. أي أن آنية الرحمة هي الآنية التي أنعم عليها الله بالرحمة. وبالطبع إن الآنية الأولى أي الفاسدة نتيجتها الهلاك، بينما الثانية أي آنية الرحمة فإن الله أعدّها للمجد. ولنلاحظ هنا أن الرسول بولس مازال يتحدث عن موضوع بني إسرائيل أو اليهود، ويحاول شرح سبب رفض معظمهم للمخلص المسيح، وإيمان البعض منهم به. ولهذا ليس مُستغربا أن يذهب الذين رفضوا إلى الهلاك، بينما يصبح الذين تجاوبوا وآمنوا بالمسيح من المدعوين المختارين من قبل الله، الذين سيذهبون إلى المجد.

(ملاحظة لقراء موقعنا الالكتروني: لقد دبّر الله الخلاص للإنسان عن طريق فداء المسيح، ويعلن الله نفسه بنعمته غير المحدودة واللامتناهية بمحبة لكل إنسان. والإنسان بالرغم من موته بالذنوب والخطايا، يستطيع أن يتجاوب مع نعمة الله أو أن يرفضها. إن مقاومة نعمة الله باستمرار لا بد من أن تؤول في نهاية المطاف إلى الهلاك الأبدي. فلن يستفيد الجميع من الفداء غير المحدود واللامتناهي الذي تمَّمه المسيح، لأن ليس الجميع سيتجاوبون مع هبة الخلاص. أما التجاوب مع نعمة الله، فسيقود الإنسان بالمقابل إلى الإيمان بالمسيح وإلى الخلاص، وإلى الحصول على الحياة الأبدية. هذا هو الموقف الكتابي السليم. وهنا علينا أن لا نخلط بين معرفة الله السابقة إلى مَن من الأفراد سيخلص، وعقيدة التعيين المسبق أو الاختيار المطلق من قبل الله بخصوص الهلاك والخلاص. فالله يعلم الذين سيتجاوبون مع نعمته، ولهذا يعمل في حياتهم بواسطة الروح القدس أي يحضّرهم، لكي يأتي بهم إلى الإيمان، وينعم عليهم بالغفران والخلاص. ونستطيع أن نلخص الموضوع بثلاث نقاط رئيسية علينا أن نأخذها بالاعتبار وهي: أولا: سلطان الله ، ثانيا: عدالة الله، ثالثا: مسؤولية الإنسان. وهذه العوامل الثلاثة تسير معا جنبا إلى جنب عند بحثنا لهذا الموضوع الهام. إن سلطان الله واضح وأكيد، والله عادل لاشك في ذلك، لكن تقع على الإنسان المسؤولية لكي يتجاوب مع نعمة الله.

أما بالنسبة إلى النصوص الكتابية التي تشير إلى التعيين الإلهي المسبق، فنلاحظ أنها لا تتعلق بالمصير الأبدي المحتوم لأفراد معينين، بل بخطة الله للكنيسة ككل، أو باختيار الله لأفراد من أجل تتميم خدمة أرضية محددة. وفي النص الذي نشرحه في هذه الحلقة، فإنه يتعلق بالدور المقرر مسبقا من قبل الله تجاه إسرائيل، كشعب سبق لله أن تعامل معه في العهد القديم. ويؤكد هنا الرسول بولس أن هذا الوضع الخاص لشعب إسرائيل قد انتهى بمجيء المخلص المسيح وبدء العهد الجديد، ورفض معظم اليهود للمخلص المسيح. **إلى هنا تنتهي الملاحظة.)**

لكن لكي لا يُسيء البعض فهمه، وليوضح مقاصد الله نحو البشر أجمعين، تابع الرسول بولس في العدد الرابع والعشرين قائلا: "**التي أيضا دعانا نحن إياها ليس من اليهود فقط بل من الأمم أيضا.**" إن الرسول بولس يؤكد هنا أن دعوة الله واختياره لا

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

يقتصران على اليهود فقط، بل شملت الأمم أيضا أي من غير اليهود، وهم كل من يتجاوب ويؤمن بالمخلص المسيح. إذ أن خلاص الله أُعلن بواسطة المخلص المسيح للبشر جميعا.

وكعادته اقتبس الرسول بولس من كتب العهد القديم لكي يدعم حجته. فكتب في العددين ٢٥و٢٦ قائلا: "**كما يقول في هوشع أيضا سأدعو الذي ليس شعبي شعبي. والتي ليست محبوبة محبوبة. ويكون في الموضع الذي قيل لهم فيه لستم شعبي أنه هناك يُدعون أبناء الله الحي.**" سبق للنبي هوشع (٢:٢٣، ١:١٠) في العهد القديم أن تنبأ إذن، أن خلاص الله سيشمل الأمم أيضا. فهو تنبأ أن الله سيدعو الأمم ويجعلهم من شعبه، ويصبحوا بالتالي محبوبين لديه. لا بل سيُدعون أبناء الله الحي، أي أولاد الله. أليس هذا الذي يحصل حاليا يا أعزائي؟ فمنذ أن أعلن الله خلاصه لكل الناس عن طريق المخلص يسوع المسيح، نجد الملايين من البشر في كل مكان وزمان، تؤمن وتصبح من أولاد الله وشعبه.

لكن ماذا عن اليهود أو إسرائيل؟ أجابنا الرسول بولس عن هذا السؤال في العددين ٢٧و٢٨ قائلا: "**وإشعياء يصرخ من جهة إسرائيل وإن كان عدد إسرائيل كرمل البحر فالبقية ستخلص. لأنه متمم أمر وقاض بالبر. لأن الرب يصنع أمرا مقضيا به على الأرض.**" أجل لقد سبق للنبي إشعياء (١٠:٢٢، ٢٨:٢٢) أن تنبأ في العهد القديم، أن البعض فقط من اليهود أو بني إسرائيل سيخلص، والذين أطلق عليهم اسم البقية. فالبقية هم اليهود الذين سيؤمنون بالمخلص المسيح ويصبحوا مسيحيين، وبالتالي من أولاد الله. وهذا الأمر أي خلاص البقية اليهودية مقرر ومقضي من قبل الله. وهذا يتوافق مع المبدأ الذي أعلنه الرسول بولس في بداية هذا الأصحاح، أن الله سيخلّص فقط المدعوين والمختارين من اليهود وليس كلهم، أي الذين سيؤمنون بالمسيح المخلص. وعلينا أن نلاحظ أن البقية التقية هنا التي يشير إليها الرسول بولس كانت موجودة في أيامه، فهو لا يتحدث عن أمر سيحصل في المستقبل البعيد كما يظن البعض، وهو ما سنلاحظه عند دراستنا للأصحاح الحادي عشر من الرسالة إلى رومية.

ولكي يؤكد كلامه اقتبس الرسول بولس آية أخرى من سفر النبي إشعياء. فقال في العدد ٢٩: "**وكما سبق إشعياء فقال لولا أن رب الجنود أبقى لنا نسلا لصرنا مثل سدوم وشابهنا عمورة.**" (إشعياء١:٩) إن مدينتي سدوم وعمورة مشهورتان بشرّهما وفسادهما، وقد أدانهما الله قديما، في أيام إبراهيم، بأن أنزل عليهما نارا وكبريتا وأفنى سكانهما. وهكذا أراد إشعياء القول أنه لولا هذا النسل أو البقية المؤمنة بالمسيح، التي دعاها الله من اليهود، لأصبحت حالة اليهود كحالة سدوم وعمورة في الشر والفساد.

وهنا وصل الرسول بولس إلى نتيجة هامة، فكتب في العدد الثلاثين من الأصحاح التاسع قائلا: "**فماذا نقول. إن الأمم الذين لم يسعوا في أثر البر أدركوا البر. البر الذي بالإيمان.**" إن الأمم أي الشعوب الأخرى الوثنية، والتي لم تكن تعرف الله أو تسعى

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service

وراء البر، عرفت بر الله. وذلك لأنها اختبرته فقط عن طريق الإيمان، الإيمان بالمخلص المسيح. أي ألقت رجاءها بالكلية على رحمة الله.

أما بالنسبة لليهود أو إسرائيل فإن الوضع كان مختلفا. إذ تابع الرسول بولس في العددين ٣١و٣٢أ قائلا: "**ولكن إسرائيل وهو يسعى في اثر ناموس البر لم يدرك ناموس البر. لماذا لأنه فعل ذلك ليس بالإيمان بل كأنه بأعمال الناموس.**" لقد أراد اليهود الحصول على بر الله أو خلاصه عن طريق حفظ الناموس أي الشريعة الإلهية، وظنّوا أنهم سينالون رضا الله. لكن محاولاتهم ذهبت هباء، لأن لا أحد يستطيع السير بحسب الناموس. وأيضا لأنه لا يمكن للإنسان الخاطئ أن يُرضي الله بأعمال الناموس الصالحة، وهو ما أوضحه لنا الرسول بولس سابقا. بينما يحتاج الإنسان إلى الإيمان لكي يحصل على بر الله، الأمر الذي أهمله اليهود. وباختصار اعتمد الأمم على محبة الله ورحمته، فكسبوا بر الله. بينما اعتمد اليهود على أعمالهم وبرهم الذاتي، فخسروا هذا البر.

ثم قدّم لنا الرسول بولس سببا آخر يبين لنا سبب عدم حصول اليهود على بر الله أو خلاصه فكتب في ختام الأصحاح التاسع عن اليهود قائلا: "**فإنهم اصطدموا بحجر الصدمة، كما هو مكتوب ها أنا أضع في صهيون حجر صدمة وصخرة عثرة وكل من يؤمن به لا يُخزى.**" (مزمور١١٨:٢٢، إشعياء٢٨:١٦) لقد اصطدم اليهود وعثروا بالمخلص يسوع المسيح، الذي هو الحجر الكريم والصخرة التي قام على أساسها الإيمان المسيحي. وذلك لأنه لم يأت بحسب مفاهيمهم القومية الضيقة، ولهذا السبب رفضوه ولم يؤمنوا به. ولنلاحظ أن الله هو الذي وضع المخلّص المسيح حجر صدمة وصخرة عثرة بالنسبة لليهود، لكي يمتحن حقيقة إيمانهم. وسبق للنبي إشعياء أن تنبأ عن هذا الحجر وصدمة اليهود وعثرتهم به.

إن المخلص المسيح يا أعزائي كما كُتب عنه، هو الحجر الذي رفضه البناؤون، أي بنو إسرائيل مدّعو معرفة الله. لكنه هو الذي صار رأس الزاوية أي الأساس، الذي يرتكز عليه الإيمان المسيحي. وكل من يؤمن به لا يُخزى. أجل لقد جاء المسيح إلى العالم مخلصاً، لكنه صار حجر الامتحان للبشر جميعا. فما هو موقفك صديقي المستمع من المخلص المسيح؟ هل تؤمن به فتخلص؟ أم ترفضه وتعثر به فتهلك؟

حقوق الطبع محفوظه لخدمة الاذاعه العربية ٢٠٠٦-٢٠٠٣
Copyright 2003-2006 Arabic Broadcasting Service